الواحات المصرية

الواحات منخفضات في صحراء افريقية فيها اراضٍ زراعية مسكونة. والواحات المصرية سلسلة من هذه المنخفضات ممتدة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي موازية لوادي النيل ومنها واحة سوى والواحة البحرية والداخلة والخارجة الاولى غربي الفيوم والاخيرتان غربي القصر

وتاريخ الواحات غامض جداً غير ان ذكرها في الكتابات الهيروغليفية القديمة يدلُّ على ان الناس اكتشفوها وسكنوها منذ زمان طويل فقد قرأ بروكش في كتابة قديمة وجدت في القصر ينتهي تاريخها الى السنة الخامسة والعشرين من ملك يسمى الاول (سنة ١٠٣٣ قبل المسيح) ان الواحات كانت منفىً للمجرمين فقد جاء في تلك الكتابة ان بينتم سمح لبتية حزب وعمسيس (وكانوا قد نفوا اليها) بالرجوع منها. وسكان الواحات الاصليون كانوا غرباء عن مصر ولكنهم كانوا يؤدون الجزية الى ملوكها منذ ايام تحتمس الثالث (١٦٠٠ قبل المسيح). واشار هيرودوتس الى الواحة الخارجة في كلامهِ على التجريدة التي ارسلها كمبيس ملك الفرس الى واحة سوى وهلك منها خمسون الفاً فقال "ان عساكر كمبيس وصلت بعد مسيرة سبعة ايام في الرمال من طيبة الى مدينة الواحة التي يقال لها جزيرة المطريين"

وفي الواحات آثار كثيرة يونانية ورومانية يستدلُّ منها ان الواحة الخارجة كانت تحت امر حاكم عسكري تابع لولاية طيبة وانها كانت محطة عسكرية على الطريق بين مصر والولايات الرومانية في شمالي افريقية

وورد ذكر الواحات في كتب جغرافيي العرب كابي الفداء والمقريزي وينتدل من كلامهم انها كانت قد فقدت في ايامهم كثيراً من شأنها السالف

وخصب الواحات ناتج عن المياه التي في طبقات ارضها السفلى فحيثما وجدت منفذاً طبيعياً او حيثما حفر الناس آباراً ارتوازية رفعها الضغط المتصل بها الى وجه الارض

وصناعة حفر الآبار في الواحتين الداخلة والخارجة قديمة جداً من ايام الرومانيين ثم فقدت مدة طويلة ولم تعد الا في القرن الماضي والفضل في ذلك لرجل فرنسوي اسمهُ ايمه فانهُ استحضر آلة لحفرها واستأذن محمد علي باشا في نقلها الى الواحات واقام اولاً في الخارجة وانشأ معملاً للنيلة ولاستخراج الشب

وفي الخارجة قرى كثيرة يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية آلاف نفس وفيها نحو ستين الف نخلة ومثلها بئر وحيواناتها الاليفة الخيل والبقر والغنم والمعزى وفيها من الطيور الداجنة الحمام

والدجاج والديوك الرومية ومن حيواناتها البرية الضبع والذئب والثعلب . والكرم قليل فيها الآن بعد ان اشتهرت في الزمن القديم بجودة خمرها . وقد اكلت من عنب الكرم الذي زرعته الشركة حديثاً فاذا هو طيب الطعم كجود انواع العنب . ويكثر فيها السنط والدوم ويصدر من حاصلاتها التمر ويبتدئ موسم التمر عندهم في اغسطس وينتهي في يناير وعليه اعتمادهم

وقد رأى بعضهم ان استثمار هذه الواحات يجب ان يكون اسهل على ابناء هذا العصر منه على ابناء العصور الغابرة فسحرها اولاً وطلبوا من الحكومة المصرية ان تجيز لهم انشاء سكة حديدية اليها وان تمنحهم ما يحيونه من الاطيان فيها فاجابتهم الى طلبهم وألفت لذلك شركة مصر الغربية فانشأت سكة الحديد اليها واحتفلت بافتتاحها رسمياً في اواسط الشهر الماضي احتفالاً حضره عطوفتلو فخري باشا ناظر الاشغال العمومية وجمهور غفير من وجهاء النزلاء وارباب الاموال ومكاتبي الجرائد وكنت في جملتهم نائباً عن المقطم فوصلنا في ١٧ يناير الساعة السابعة صباحاً الى مفرق الخارجة حيث يفترق الخط الذي مدته الشركة المذكورة عن سكة حديد الحكومة شمالي فرشوط باربعة كيلومترات فتناولنا القطور هناك ثم انتقلنا من القطر الذي كنا سائرين فيه الى قطر الشركة

ولما وصلنا الى قرة حيث المحطة الاولى لسكة حديد الشركة وجدناها مزدانة بالرايات والاعلام المصرية فنزلنا للاحتفال رسمياً فتناول عطوفة فخري باشا مفتاحاً من الفضة وفتح به باب المركبة المخصوصة لاكابر المدعوين ثم قلدته قرينة سعادة حسن باشا مدالية ذهبية نقش على وجه منها اسم الشركة وعلى الوجه الآخر قاطرة سائرة في الصحراء واسم سكة الحديد وتاريخ فتحها وقام المستر مانفيل رئيس الشركة بكلام قليل موافق للمقام ولما وصلنا الى الكيلومتر ١٠٠ تناولنا الغداء في خيمة مضروبة وسط الصحراء وبعد الغداء شاهدنا رقص الراقصات من اهل قنا ثم استأنفنا السير فوصلنا الى الخارجة نحو الساعة الرابعة بعد الظهر وقصد كل منا المحل المعد له ثم تناولنا العشاء فاكلنا اكل من اشتد به الجوع من تأثير الصحراء

وبات بعضنا في محطة المكنات حيث يقيم مستخدمو الشركة والبعض الآخر في خيام قرب الخارجة . واستيقظنا صباحاً نستنشق الهواء المنعش وخرجنا فاذا نحن في متحدر تحيط به غابات النخل من جهة والتلال من جهة اخرى تعلوها الهياكل وآثار المباني القديمة وامامها سهول خضراء فيها الشعير والبرسيم من المزروعات فمشينا نحو ربع ساعة في غابات النخل ورأينا المياه تتدفق من العيون او الآبار الارتوازية ثم وصلنا الى هيكل عظيم على قمة تلة مبني بحجارة رملية ضخمة عليها نقوش وصور كثيرة وكتابات هيروغليفية من الداخل

والطاوج . والصور منقوشة بالون بديعة جداً ولم تزل الوانها على جمالها مع ما مرَّ عليها من السنين كأنها صنعت بالامس ودخل فيكل اعمدة كبيرة منقوشة نقشاً بديعاً ويقال له

هيكل هيبس

هيكل هيبس نسبة الى مدينة هيبس او هبت وقد بني في زمن داريوس الاول وداريوس الثاني حينما كان الفرس متسلطين على القطر المصري

وشاهدت على قمة اكمة اخرى بقايا كنيسة قديمة بناها الاسقف نسطوريوس حين نفي الى هناك سنة ٤٣٥ للميلاد وعلى جدرانها كتابات كثيرة عربيَّة نقشها عليها الزوار الذين

زاروها من جهات القطر المصري وبلاد السودان والحبشة مئة وثمانون من السنين

ورجعنا من هناك الساعة الواحدة بعد الظهر فوجدنا شيخة رحبة مفروشة وفيها مائدة كبيرة حولها مئة وعشرون كرسيًّا لمدعوين ورجال الشركة وعليها اخر انواع الطعام والمدام فجلس عطوفة فخري باشا في صدر المائدة وجلس المستر ارمسترنج عن يمينه والمستر مانشيل رئيس الشركة عن يساره ثم سعادة عبد الخالق باشا ثروت مدير اسيوط ثم سعادة حسن باشا مدير اشغال الشركة فسائر المدعوين. وبعد الطعام نهض المستر مانشيل وطلب من الحضور ان يشربوا معهُ نخب الجناب العالي فوقف الجميع اكرامًا وشربوا نخب سموه ثم نهض عطوفة فخري باشا وفاه بخطبة فرنسوية قال فيها ان الجناب العالي تنازل والتدبني لانوب عن سموه في حفلة افتتاح سكة حديد الواحات التي تصل هذه الواحات بوادي النيل بعد ان كانت منفصلة عنهُ وعن سككهِ الحديدية الكثيرة وعن جميع الطرق التجارية محاطة بالصحراء الغربية القاحلة وانا لنرجو ان هذا المشروع الذي نحتفل اليوم بافتتاحهِ رسميًّا يأول الى نجاح هذه الجهات بجعل طرق النقل منها واليها مثل امرع واوفر طرق النقل والانتقال الحديثة. ولذلك ارجو لهذه الشركة تمام النجاح في كل اعمالها ومشروعاتها ولا شك ان الاتصال سيتم قريبًا بين القطر المصري وبين سائر الواحات كما تم بينهُ وبين واحة الخارجة لان هذا من جملة الاعمال التي تقصدها هذه الشركة ولذلك اعلن ان سكة حديد الخارجة قد فتحت من الآن للتجارة رسميًّا واني بالنيابة عن المدعوين كلهم اتقدم لرجال هذه الشركة بزيد الشكر على حسن ضيافتهم لنا وسيبقى لذلك احسن تذكار في نفوسنا

ولما اتم عطوفة فخري باشا كلامهُ نهض المستر ارمسترنج وقال ما ترجمتهُ

لقد تكرَّم الجناب الخديوي وحكومتهُ وشرفني الامتياز الذي قامت بهِ هذه الشركة ولذلك اقول كنتين بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن المؤسسين لهذه الشركة اما من جهتي فاني مسرور جدًّا بقيامي هنا الآن حيث نحتفل بعمل مهم جدًّا في تاريخ مصر الحديثة فان القائمين بهذا العمل قد تعدوا الاموال اللازمة لفرفسوا بكل ما اشترطتهُ الحكومة عليهم. والوعد الذي وعد بهِ جنصن باشا سكان هذه الواحة منذ بضع سنوات قد تمَّ الآن ورُدَّت الى مصر بلاد من اخصب بلدانها بعد ان انفصلت عنها زمنًا طويلاً. ولم يكن عملنا سهلاً فان كثيرين ضحكوا علينا واستهزأوا بنا حينما قلنا اننا عازمون على انشاء سكة حديد الى الواحات لانهم قالوا انه لا نعلم اين تبتدئ هذه السكة ولا اين تنتهي والآن اقف في وسط ارض لا تقل مساحتها عن الف ميل مربع كثروها اطيان صالحة للزراعة وافتخر بقولي اننا انشأنا

هذه السكة وقمنا بهذا العمل العمومي العظيم واثبتنا لكم وللعالم اجمع وجود اطيان وسيعة يمكن زرعها ووجود الماء الغزير لريها والعمال المكافين للعمل فيها . ويمكننا الآن ان ننسى ما مضى ونصفح عن الذين اساؤوا الينا . وان ما اظهرتموه عطوفتكم من السرور والرضى يكفيني جزاء حسناً فاشكر عطوفتكم على ذلك واطلب من الله ان يوفق اعمالنا لتأول الى نفع هذه البلاد ولتبقى مثالاً للاعمال العمومية النافعة . هذا ولا اخفي عليكم اني اكبر مساهم في هذه الشركة على ما اظن ولي فيها خمسون الف جنيه اكثر مما لاي شخص آخر واسعى الآن اكثر مما كانت قبلاً وانا عازم ان ابقى متصلاً بها ما دمت في صحتي وما دمت قادراً على خدمتها بجسمي وعقلي

ثم تلاه المستر مانشيل رئيس الشركة وقال ما ترجمتهُ انني بالنيابة عن الشركة ارحب بحضراتكم جميعاً واثبتُ لكم شكري وشكر سائر اعضاء الشركة على ما تجشمتموهُ من المشاق في مجيئكم الى هذا المكان لمشاهدة الاحتفال باتمام الجزء الاول من مشروعنا الذي يحقُّ لي ان ادعوهُ عظيماً فعطوفة نخري باشا موفد من قبل الجناب الخديوي لكي يعلن افتتاح القسم الاول من سكتنا الحديدية ونحن شاكرون لسموهِ مبتهجون لانهُ رأى عملنا من الاهمية ما يستحق اعتناءهُ كما نحن شاكرون لعطوفة نخري باشا على الاقوال التي فاه بها وبيَّن فيها انهُ يقدر عملنا قدرهُ وعندنا ان عمل شركتنا كبير الاهمية للقطر المصري فان اطيان الوجه القبلي والوجه البحري مساحتها محدودة وان كانت اخصب اراضي المسكونة وقد وفقنا نحن الى ان نزيدها ارضاً واسعة جداً صالحة للزراعة . واسم الشركة التي لي الشرف ان ارأسها الآن شركة مصر الغربية ولا اظن انهُ يمكن ان يوجد لها اسم اصلح من هذا الاسم لان غرضها ان تضيف بلاداً واسعة الى القطر المصري يصحُّ ان يطلق عليها اسم مديرية مصر الغربية . ولقد خصَّت الطبيعة القطر المصري بفيضان النيل الذي يرويهِ ويجلب لهُ الخصب ونحن هنا محرومون من ماء النيل ولكن الطبيعة اعطتنا ما يقوم بري ارضنا وخصبها فقد فاضت المياه العذبة تتدفق من الآبار الارتوازية وتجري على الارض وترويها من غير آلات رافعة وعندنا ههنا مقادير كبيرة من السماد الطبيعي من الفصفات والنيترات وهي من اصلح الاسمدة للارض والتجارب التي جريناها حتى الآن تدل على نجاح الزراعة التام وعلى ان الذين يتباعون الاطيان منا ويزرعونها يفلحون في عملهم فالقطن الذي زرعناهُ وجنيناهُ يدل على انهُ ينتج من هنا اجود انواع القطن وان محصول الفدان منهُ قد لا يقل عن متوسط محصول الفدان في وادي النيل . ويمكننا ان نقول من الآن انهُ لا تمضي سنون كثيرة حتى نرى اطياناً وسيعة

في هذه الواحة مزروعة احسن زراعة ويزيد عدد السكان من الآن فصاعداً لان مهاجرتهم ستقل ولا يبعد ان يعود بعض الذين هاجروا قبلاً . وسكة الحديد التي شاهدنا افتتاحها ستقلل حاصلات هذه البلاد الى حيث تباع باغلى الاثمان . والاهمية الكبرى في وادي النيل للحاصلات الزراعية لا لسواها اما هنا فعندنا مواد تصلح للصناعة لعمل اجود انواع السمنت ولعمل الخزف والقرميد . وعندنا ايضاً انواع مختلفة من الحجر الجيد الصالح للبناء وقد اخذنا بمقاولة من الحكومة لتوريد الحجارة اللازمة لها في اعمال الري . وعندنا فوق ذلك مواد كثيرة ثمينة من النفرة والشب وسنستخرجها مع الزمن ولا بد من تسهيل الوصول الى الواحة الداخلة باسرع ما يمكن وقد ظهر لنا بالبحث ان هناك من المواد ما هو اثمن مما يوجد هنا فضلاً عن ان السكان هناك اكثر كثيراً والاراضي الزراعية اوسع .

وقبل بعد الغداء وركبنا القطار فسار بنا الى حيث توجد الاطيان التي زرعتها الشركة وساحتها نحو اثني فدان فرأينا المياه تتدفق من الآبار الارتوازية من نفسها والبئر منها تكفي لزراعة مئتين وخمسين فداناً والزراعة التي رأيناها في الارض هي الشعير والبرسيم وبقايا القطن وكان جانب كبير منها قد زرع فولاً سودانياً وحمساً ورأينا في المخازن كميات كبيرة من محصولها . والتربة طين اصفر ذميم جداً والارض لا تحتاج الى التقصيب وقد انشأت الشركة فيها بستاناً زرعت فيه البرتقال والعنب والموز وغيرها من الاشجار ورأينا عند عمدة البلد جنينة فيها كثير من اشجار البرتقال وثمره كبير طيب الطعم ولكن قشرته صفراء اللون

وبلد الخارجة فيها نحو ستة آلاف من السكان وبيوتهم اكواخ صغيرة من الطين واسواقها مبنية تعلوها البيوت من الجانبين ولها ابواب كانوا يقفلونها خوفاً من غارات الاعداء وهم صغار الاجسام نحيف الابدان صفر الالوان . وقد سمعت من كل الطبيبين والزراعة من الذين كانوا معنا ان تربة الارض في غاية الجودة وان الماء كاف لريها بسهولة وهي لا تحتاج الى نفقة كبيرة لتمهيدها وزرعها . ومما هو جدير بالذكر ان المتاولين الذين انشأوا سكة الحديد وهم الخواجات جوسمان وديتامار تغلبوا على اشد المصاعب في انشاء سكة طولها نحو مئتي كيلو متر وفيها انخفاض مقداره نحو ٣٦٠ متراً في ما طوله ٢٩ كيلو متراً فاضطروا ان يردموه كله لا سيما وان ليس في السكة ماء مطلقاً فكانوا يضطرون ان يجلبوا ماءهم من النيل يومياً وكان عندهم من الاعمال ثلاثة الاف نفس ومع ذلك اتموا العمل كله في سبعة عشر شهراً

فنكرر الشكر لهذه الشركة على ما بذلته من العناية لراحة المدعوين وندعو لها بالنجاح التام

نجيب صروف

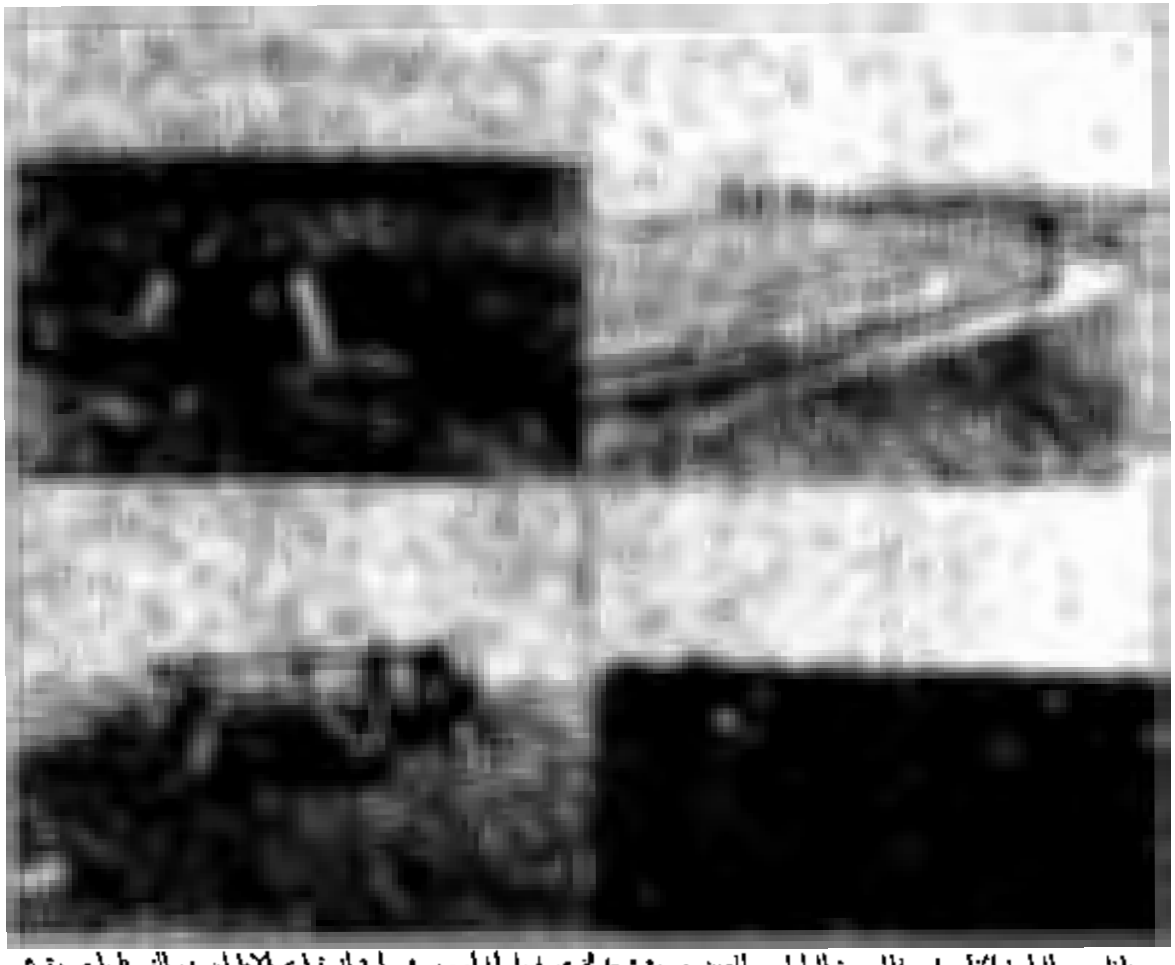

مناظر من الواحة الخارجة . فالصورة العليا من اليمين صورة ترعة تجري فيها المياه من بئر ارتوازية أبي الاطيان . والتي تليها صورة بئر ارتوازية والماء جداول من الجوب كبير موضوع فيها . والتي تحتها صورة أناس واقفين في أرض مزروعة قطنا وتليها صورة فلاح يحرث أرضه